وسيكون عاملاً هاماً في تغيير مكوّنات ميزان القوى، ما تخشاه اسرائيل من تزوّد بعض الدول العربية بأسلحة استراتيجية، مثل الصواريخ بعيدة المدى، والصواريخ ذات الرؤوس المتفجّرة غير التقليدية. كما ان اسرائيل تتحسب من احتمالات امتلاك بعض الدول العربية في المستقبل سلاحاً نووياً، أو القدرة على صنع سلاح نووي. ويمتد تحسبها هذا ليشمل بعض الدول الاسلامية (مثل ايران وباكستان). وثمة اتجاهان في اسرائيل لمواجهة هذا الاحتمال[٢٤]: احدهما ينادي بأن الحل السياسي للصراع العربي ـ الاسرائيلي كفيل بمنع تطوير ظاهرة السلاح النووي في الاطار العربي ـ الاسلامي، بما سيتضمنه ذلك الحل من اجراءات للتفتيش والرقابة على المنشآت النووية العربية (وربما الاسلامية). أمّا الاتجاه الثاني فيميل الى معالجة الظاهرة بتدمير تلك المنشآت، على شاكلة تدمير المفاعل النووي العراقي في صيف العام ١٩٨١.

ولقد كان هذا العامل ـ أي احتمال تطوير ميزان القوى تطويراً يميل الى مصلحة العرب من جرّاء تطوّر نوعية التسلّح العربي ـ أحد الاعتبارات التي وضعتها اسرائيل في حسبانها يوم دخلت الى مؤتمر السلام في مدريد، وسنرى تفصيل ذلك عند الحديث عن العلاقة بين عملية التفاوض والميزان.

وفي جميع الاحوال، فمن الثابت ان امتلاك اسرائيل للسلاح النووي يؤثر تأثيراً بالغاً في ميزان القوى للصراع العربي ـ الاسرائيلي. واذا كانت هزيمة اسرائيل بالاسلحة التقليدية العربية غير مستحيلة، بالرغم من انها صعبة، فان السلاح النووي الذي يملكه طرف واحد دون الطرف الآخر، يغيّر مكوّنات ميزان القوى تغييراً جذرياً.

خامساً ـ الانتفاضة والميزان

قد يكون الحديث عن انتفاضة الشعب الفلسطيني في الارض المحتلة في إطار ميزان القوى في غير موضعه. فالانتفاضة حدث نضالي، وهي حركة مقاومة شعبية غير مسلّحة، في حين ان ميزان القوى يتكوّن من عناصر تصبّ، في نهاية المطاف، في مصلحة القتال المسلّح بمختلف أشكاله وأنواعه وميادينه. واذا كان صحيحاً ان الانتفاضة غير مسلّحة، فانها ذات تأثير في ميزان القوى، لأسباب عدة، منها:

١ ـ هدفت الانتفاضة الى تفكيك آلة الاحتلال وأجهزة القهر الاسرائيلية، واستنزاف قوات العدو، وزيادة توضيح جوهره العنصري الوحشي، وانزال الخسائر في اقتصاده، وحرمانه من سرقة الارض وخيراتها وثرواتها ومياهها.

٢ ـ جسدت الانتفاضة ارادة الشعب الفلسطيني كله في رفض الاحتلال، وتحمّلت في سبيل ذلك فظاعة أجهزة الاحتلال التي أعملت سلاح التقتيل وتكسير العظام والسجن والطرد وتدمير الديار، ولم تترك شكلاً من أشكال الاضطهاد والقهر الاّ استخدمته.

٣ ـ أثبتت الانتفاضة قدرتها على الاستمرار، منذ انطلاقها في الشهر الاخير من العام ١٩٨٧. وهي تنوّع في أشكال نضالاتها، وفي الشرائح الاجتماعية التي تشترك في حمل أعبائها، وفي مواقع الصدام وأسبابه، وفي وسائل المقاومة وأساليبها.

لقد هدفنا من ذكر هذه الاسباب الثلاثة، دون غيرها، الى ان نوضح أن الانتفاضة غدت